صحراء المستوي

تأليف

سعد بن عبدالله الجنيدل

المحتوى :

١ - الإسم
٢ - الموقع والحدود
٣ - البناء الجيولوجي .
٤ - الوصف الجغرافي والتضاريس
٥ - النباتا وموارد المياه
٦ - السكان
٧ - خريطة جغرافية ملونة .
٨ - " " بيضاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

المستوي :

بميم مكسورة وسين ساكنة ثم تاء مثناة بعدها واو ثم ياء مثناة - ولا يذكر الإمعرّفا بالألف واللام .

وليس هناك مايدل دلالة قاطعة على قدم هذه التسمية كقدم أسماء ما حولها من المواضع ، ولم يرد للمستوي ذكر بهذا الإسم في المعاجم القديمة غير أن ياقوتيا قال في معجمه : المستوى : بوزن إسم الفاعل من استوى يستوي : هو موضع .

قلت : وهذه العبارة لا يفهم منها أن المقصود به هو هذا الموضع . و يبدو لي أن تسمية هذه الصحراء جاءت من صفتها الجغرافية ، فهي مستوية السطح خالية من الجبال والتلال والميل الإنحرافي الواضح .

وقد نزل الشيخ محمد العبودي في كتابه معجم بلاد القصيم جهدا في إيراد بعض النصوص وفي تأويلها محاولا بذلك إثبات قدم تسمية المستوي بهذا الإسم ، وأقرب النصوص التي أوردها دلالة على ما كان يرمي إليه بيت شعر لأبي زيد الطائي حيث قال :

رأى بالمستوى سفرا وعيرا أصيلالا ، وجنّبته الغميس

وقرينة الدلالة في هذا البيت ، وتحدث عن الغميس وقربه من المستوي ، والغميس مازال معروفا باسمه ، واتخذ من قربه قرينة للدلالة .

قلت : هذه الصحراء معروفة باسم المستوي منذ القرن التاسع الهجري كما دلت على ذلك النصوص التاريخية التي ذكرها ، وذلك يؤيد القول بقدم التسمية .

وقد جاء ذكر المستوي في الشعر النبطي وفي أخبار البادية وأشعارهم .

تقول شاعرة من أهل الشماسية تمدح بلدتها القريبة من المستوى :

الخوض والرمان والتين مختاش وسبلت للجوعان ناعي نماها

والجاهل الذي مايدلّه من الناس بين أبرقين المستوي لا بغاها

ومن أخبار البادية : كان أحد الوشاة أمراء مطير يكن في الطف

و يقطن على ماء جودة فأصاب تلك البلاد جدب . و بلغه أن صواء المستوي قد مطرت فارتحل بقومه إليها ، وحين حل بها كانت له بنت ، فلم يطب لها المقام في المستوي لحزونته ، فقالت تحاطبه أباها :

يَا بَوِّئَ هَذَا الْمُسْتَوِي الَّذِي يَقُولُونْ ... الْمُسْتَوِي فِطَاطَنَا فَوْقَ جُوَدَهْ
نَشَرْتَ حَلِيبْ وَ نُرْتَقَ الرَّكَبْ يَلْفُونْ ... وَالشَّيْخُ يَنْزِلْ فِي مَنَازِلْ جَدْوَدِهْ

و يروى أيضا أنه جرت في المستوي معركة بين مطير وعتيبة ، هزمت فيها عتيبة ، وفي ذلك يقول حنيف بن سعيد ان المطيري :

مِثْلْ أَمْسِ فَعَلَهْ يَوْمَ الْأَرِيَاقِي بِيَاسْ ... يَوْمٍ يَقْطَعْ بِالرَّضِيمَهْ ضَبَابَهْ
خَلَّوا عَلَى ضِيَانِهِمْ قِطِعْهُمْ الْأَكْيَاسْ ... وَالْبِنْ الْأَشْقَرْ مَا اشْتَرَوْهُ فِي شَرَابَهْ
وَمْرَارِهُمْ فِي مِلْتَقَى الْخَيْلْ غِطَاسْ ... وَأَيْمَانِهُمْ تَرْمِي الْعَشَا لِلذِّيَابَهْ
هَذَا الْكُونْ مِنْهُ الْأَجْنَابْ تَقَاسْ ... إِلَّا يَا لَفِي الطَّرْفِ لِلْآخَرْ حَكَى بِهْ

و تعرف هذه الوقعة بوقعة الرضيمة ، وهي هضيبة صغيرة في المستوي ،

و يقول شاعر من آل روق من قحطان ، يشتهر بلقبه الشعري ، وكان له حصان إسمه مسعود فمات ، و أعطاه بن أخيه فرسا إسمها خليله عوضا بحصانه :

أَنَا فُدَى اللِّي جَابْ خَتْلَهْ بِقَوْدِ ... مِنْ صُلْبْ أَبُوِي مَعْرَبِ تُرْثَهْ جَدُودْ
جَانِي بِطَائِحَةِ الذِّرَاعْ الْمَجْدُودِ ... مَا شِفْتْ عُمْرِي حَسْرَةٍ عِقْبَ مَسْعُودْ
كُنْ يَطَّلِقْ مِنْ ظَهْرِهَا مَعْقُودِ ... مِنْ وَاهِجٍ فِي الصَّدْرِ وَالرَّاسْ مَشْدُودْ
خَيَّالْ حَمْضِ الْمُسْتَوِي وَالنَّقُودِ ... بِشْلَغْ تَلَظَّى شَارِبٍ جِبْطِ الصُّودْ

و في رضيمة المستوي الآنفة الذكر تقول سلطان المريض الرويس العتيبي ردا على قصيدة حنيف بن سعيدان بعد أن أخذت عتيبة ثأرها في وقعة صفية في قصيدة :

دُوشَانْ مَا فِيهِمْ مِنَ الذَّمِّ وَسْوَاسْ ... مَيْزِ الْعَتِيبِي هَسْ فِيهِمْ بَنَابَهْ
وَيَوْمِ الرَّضِيمَهْ لَهَسْ الذِّيبْ الْأَمْرَاسْ ... وَعَتِيبْ لَوْ أَخَذَتْ ذَوْدٍ نِهَا بَهْ
وَجَازُوهْ حُمْرَانِ النَّوَاظِرْ بَدَّاسْ ... دَبَّاسْ جَمْعٍ غَادِيٍ لَهْ ضِبَا بَهْ
نَوَّخْ وَظَهَّرْ وَانْتَسَلْ كُلّ عَبَاسْ ... وَجَفِيرْ سَيْفِهْ مِنْ شِمَالِهْ رَمَى بِهْ

موقع المستوى وحدوده :

تقع صحراء المستوى في الشمال الغربي من بلاد الوشم والجنوب الشرقي من بلاد القصيم ، يحدها من الشرق رمل نفود عريق البدان ونفود الشويرات ، ويحدها من الغرب صفراء الرويكب وما امتد منها شمالاً ، ويحدها من الجنوب نفود الملحاء ورمل زبائر المواصل ، أما من الناحية الشمالية فإنها تمتد بلسان ضيق تدريجياً حتى تصل إلى بلدة النبقية .

ويمكن القول أن هذه الصحراء - وبالنظر إلى امتدادها الطويل من الجنوب إلى الشمال - أشبه بمثابة نقطة التقاء بين الوشم والقصيم ، فالناحية الشمالية منها قريبة من قرى القصيم : الشماسية ، والربيعية ، والرويضة ، والنبقية ، وناحيتها الجنوبية قريبة من قرى الوشم : شقراء ، وأشيقر ، والغرغة . وحدثني بعض من كانوا يحشون منه العرفج من أهل شقراء أنهم كانوا يلتقون بأهل القصيم فيه لنفس الغرض .

غير أن الشيخ محمد العبودي في كتابه معجم بلاد القصيم حدد القصيم من ناحية المستوى بالأراخم ، وهي واقعة في شمالي صحراء المستوى ، واعتمد في هذا التحديد على شعر للعوني قال فيه :

أبكي على دار لنا ربينا بربعها ... معلومة خشم الرعن هو شمالها
ومن شرق طعسين الأراخم تحدها ... بين اللوى والسرما أطيب سرحها

وقال : وكانت - يعني الأراخم - تعتبر حد القصيم من تلك الجهة .

أما من الناحية التاريخية القديمة فإن هذه الصحراء واقعة في نطاق اليمامة جغرافياً وإدارياً .

البناء الجيولوجي :

صحراء مستوية ، ذات تكوين رسوبي حصوي ، قد أخذت عوامل التعرية المختلفة دورا كبيرا في تهذيب تكوينا تها الطبيعية وتنوء آثارها الضخمة ، وبصرف النظر عن خزونة أرضها وخشونة سطحها فان تربتها تحتوي نسبة جيدة من الغرين الذي تمتصه مع ترسبات مياه الأمطار في أعماقها ، وقد ساعد على ذلك إستواء سطحها وخلوه من الأودية الجارفة التي تأخذ معها الرواسب الغرينية وتسقط إلى مدافع مياهها فتربتها حيث يعد أسيدها وتشرب مياهها .

ومن الملاحظ أن هذه الصحراء محفوفة من الغرب بصفراء الرمركب ، وهي ذات جبال مرتفع صوب الغرب وانحدار تدريجي صوب الشرق ، أي مما يلي صحراء المستوي ، وهذه الصفراء تكوّن حاجزا طبيعيا بينها وبين نفود السر ، ولذلك فهي تمنع زحف رماله إليها من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان سيول هذه الصفراء تشرب فيها ومعها ما تحمله من الغرين المفيد للتربة ، كما أنها من الشرق محفوفة أيضا بصفراء في معظم أجزائها ، وهذه الصفراء وإن كانت ضيقة وغير منتظمة وقليلة الإرتفاع إلا أن لها - دون شك - أثرا في صد زحف رمال النفود إليها من الشرق ، وتسمّى هذه الصفراء صفراء المستوى .

ومن هنا يمكن القول بجودة تربتها للزراعة ، وباحتمال وجود مياه جوفية عميقة وافرة ، ولا يستبعد أن تصبح هذه الصحراء في وقت غير بعيد منطقة زراعية ممتازة ، لا سيما وأن النهضة الزراعية الحالية أخذت تتجه إليها وتزحف صوبها .

الوصف الجغرافي :

تمتد صحراء المستوي من الجنوب إلى الشمال مع ميل يسير إلى الشمال الغربي ، تتسع في ناحيتها الجنوبية وفي وسطها ثم تضيق تدريجيا نحو الشمال حتى تصبح على هيئة لسان ضيق بعد قارة برمة إلى أن تنتهي عند قرية النبقية .

وهي عبارة عن فلازة طويلة جنوبا وشمالا ، وسطها متسع نسبيا ، وظهرها حزوم متصلة خالية من الجبال والتلال ، إلا قور صغيرة لا تعتبر ذات نسبة في مساحتها .

ويمكن حصر أهم تضاريسها فيما يلي :

١- الأودية : في ناحيتها الجنوبية ثلاثة أودية متوازية تنحدر من صفراء الرويكب وتتجه شرقا قاطعة متن الصحراء وتستقر مياهها في طرفها الشرقي في رياض واسعة تمتد جنوبا وشمالا ، يقابلها من الجنوب طرفن نضود الملحاء .

أما ناحيتها الشمالية : فان فيها أودية أهمها وادي الأدغم الذي ينحدر من الصفراء ومما قابلها من الصحراء ويتجه شمالا ويستقر سيله مع روافده في رياض الخوالجي ، وروافده هي : الأديغم وأبو برقا وأبو نخلة والنملات .

أما وسطه فإنه خال من الأودية .

٢- البرق : في ناحيتها الجنوبية الغربية أبرق معلث ، سمي باسم رجل من البادية إسمه معلث مات عنده ودفن فيه .

وفي ناحيتها الشمالية الشرقية الأراضي ، قارتان ، تعلو جوانبها رملة حتى أصبحا على هيئة برقين .

٣- القور : في الناحية الشمالية ، شمال الأراضي قارة بُرمة ، قارة سوداء مرتفعة ، وما سواها من القور لا تعدو كونها نتوءات صخرية لا ذكر لها لصغرها والواقع أن هذه الصحراء مع سمتها قليلة التضاريس الموجبة .

٤- الرياض : في الناحية الجنوبية الشرقية رياض الخويشات ، والبعض يسمونها قاع الخويشات ، وإليه تنتهي سيول أودية الخويشات .

وفي الناحية الشمالية الشرقية روضة مرقا ، وروضة فيحة واقعة في حدّ نفود الثويرات ، مقابلة لقرية (الربيعية) وهي الروضة التي التقى فيها الملك عبد العزيز - رحمه الله - بعبد العزيز بن متعب ، وقتل فيها عبد العزيز بن متعب .

وفي الشمال هضاب رياض الخوابي ، وإليها تنتهي سيل وادي الأدغمي وروافده .

وإكمالا للوصف الجغرافي يمكن القول أن هذه الصحراء لو قوعها بين نفود عريق البلدان ونفود الثويرات من الشرق ونفود السرمة الغربي فإنها لا تخلو من بقع رملية صغيرة متفرقة هنا وهناك تحتملها الرياح ، غير أنها لا نسبة لها في قياس مساحتها ، وتكثر هذه التكوينات في الناحية الشمالية أكثر من النواحي الأخرى .

وتحسن الإشارة هنا إلى أن هناك منطقة صغيرة ملتصقة بجانب نفود الثويرات جنوب الأراضي تسمى شرايث ، تكثر صورها البقع الرملية .

ونظرا لحزونة جغرافية هذه الصحراء وخلوها من موارد المياه وصعوبة اجتيازها لسعتها قالوا المثل الشعبي : (المريتوني يقطع المستوحي) .

أي أن هذه الصحراء لا يجتازها إلا من دفعته الرغبة على إجتيازها .

موارد المياه والمراعي :

ليس في صحراء المستوى موارد مياه قديمة ، إلا أحساء ضحلة في الخويشات ، غير أن من يرعى فيه من البادية يردون بعوشيهم قرى القيصم إذا كانوا في ناحيته الشمالية ، أو قرى الوشم إذا كانوا في ناحيته الجنوبية .

و أقرب الموارد إلى ناحيته الجنوبية غير قرى الوشم بئر وفيرة الماء عطوية قديمة تدعى المشعلية ، واقعة في ضبة في نهود السر مما يلي أعلا الخويشات . وموبهة ضحله في السليع جنوب المستوى ، واقعة بين رمل البتر ورمل السر .

أما مراعيه فإن أوفر نباتة الأعشاب الربيعية إلى جانب نبات الصليان والعرفج الذين يشتهر بهما ، كما أن له شهرة بنبات الفقع الزبيدي . غير أن أودية الخويشات معروفة بكثرة شجر الطلح وكثافته .

لذلك فإن البادي تنتابه في وقت الربيع و تنتزح منه صيفاً .

السكان : المعروف تاريخياً أن صحراء المستوى وما حولها من البلاد داخلة ضمن بلاد بني تميم . وبعد أن نزحت القبائل العربية القديمة أصبحت هذه الصحراء مرتعاً لمختلف القبائل المتنقلة في نجد كعنزة والفضول والظفير وحرب وشمر ، وأخيراً مطير وعتيبة وغيرهم . وقد نقل الشيخ محمد العبودي نصوصاً تاريخية تدل على تنافس القبائل على مراعي هذه الصحراء في فصل الربيع نقلاً عن كتاب (تحفة المشتاق) لابن بسام :

في حوادث سنة ٨٧٦ هـ تناوخوا عنزة هم والظفير في المستوى ، وذلك في أيام الربيع ، وصارت الدائرة على الظفير .

وفي حوادث سنة ٨٨٨ هـ أن عنزة صادفوا غزو الآل مغيرة في المستوى ، فظفروا بهم وقتلوهم عن آخرهم وهم نحو عشرين رجلاً .

وفي حوادث سنة ٩١١ هـ أن عنزة أغاروا على الفضول في المستوى وديارهم وقتال ، وقتل من مشاهير الفضول رجا بن حلال ، ومن عنزة دياب بن مخيم .

وفي حوادث سنة ٩٦٦ هـ تناوخوا عنزة والظفير أيام الربيع في المستوى ومع عنزة نوغم آل مسعود وراجح بن ناعي من شمر ، ومع الظفير بادي الغرم وهزال بن مضيان من حرب ، وأقاموا في مناخهم عشرة أيام ، ثم جاء سيبع والسهول نجدة للظفير ونزلوا معهم ودارت بينهم معارك شديدة فكانت الغريمة على عنزة وأتباعهم .

وفي حوادث سنة ١١٠٨ هـ تناوخوا الظفير والفضول أيام الربيع في المستوى وأقاموا في مناخهم عدة أيام وبعد قتال شديد صارت الدائرة على الفضول

ومما تقدم يتضح مدى الصراع بين القبائل في هذه الصحراء تنافساً على مراعيها في فصل الربيع ، وقضاء فصل الربيع في رحابها .

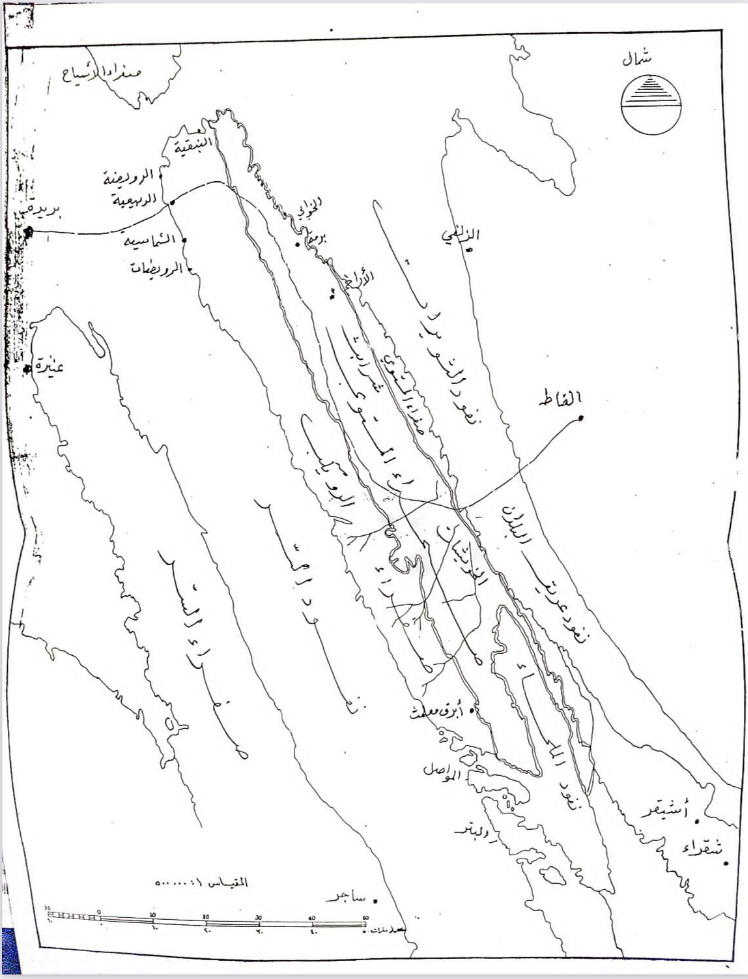

شمال
الزلفي
القاط
بريدة
عنيزة
البنقية
الربيعية
الشماسية
الرويضات
برمة
الأراطة
أشيقر
شقراء
الواصل
ساجر
المقياس ١ : ٥٠٠٠٠٠

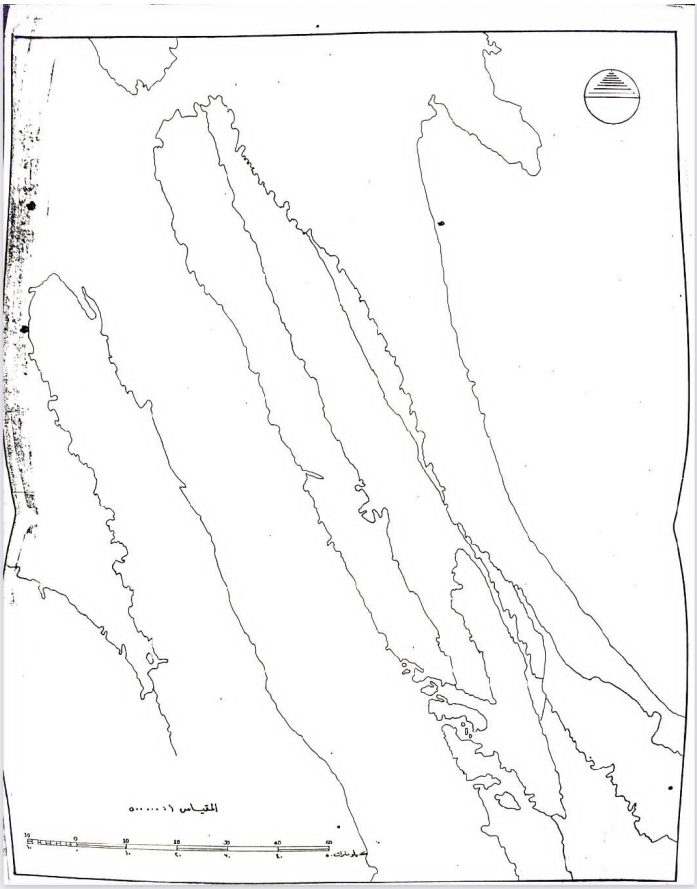
المقياس ١ : ٥٠٠٠٠٠
٥٠ ٤٠ ٣٠ ٢٠ ١٠ ٠ ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠
كيلومتر